Dirasat: *Shari'a and Law Sciences*, Volume 49, No. 3, 2022

Deanship of Scientific Research

Aspects of Social Welfare in the Islam: Suraht Al-Ma'un as a Model [*]

Jamal Chtaiba [*]

Department of Islamic Studies, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, fez, Morocco.

Received: 11/9/2021
Revised: 1/1/2022
Accepted: 1/2/2022
Published: 1/9/2022

[*] *Corresponding author:*
chtaibajamal25@gmail.com

Citation: Chtaiba, J. (2022). Aspects of Social Welfare in the Islam: Suraht Al-Ma'un as a Model. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, 49(3), 1–7.
https://doi.org/10.35516/law.v49i3.2196

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: The study aims to highlight the relationship between the Islamic faith and social welfare and the impact of believing in God and the Last Day in combating poverty, fragility and vulnerability.

Methods: The study relied on the descriptive-analytical approach by tracing the descent of the Holy Quran in the Meccan period, and focusing on the essential information related to the Islamic faith and its impact on social welfare. Additionally, the reasercher reviewed and compared the opinions of scientists. The research focused on studying and analyzing one Surah of the Holy Quran, namely Surah Al-Ma'oon, due to the positive connotations of its name, such as cooperation and extending a helping hand to those who need it from various segments of society, especially who are usually neglected, oppressed and sometimes attacked.

Results: The effect of God's monotheism and certainty in what He has prepared for His righteous servants in compassion witn the needy and the poor, kindness for the widow and orphan, and mercy for the weak and needy. Being a true believer has a close relationship with good deeds, mainly what is directed to the disadvantaged groups in the Muslim community.

Conclusions: The study recommended the need to take care of the factual impact of the Islamic faith and highlighted the importance of correct perception of the matters of the unseen in purifying souls and urging them to give and spread the spirit of affection and brotherhood among believers.

Keywords: Belief in God, poverty and deprivation, charity and giving.

من صور الرعاية الاجتماعية في العقيدة الإسلامية: سورة الماعون أنموذجا

جمال اشطيبة*

شعبة الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

ملخّص

الأهداف: يسعى البحث إلى إبراز علاقة العقيدة الإسلامية بالرعاية الاجتماعية، وبيان أثر الإيمان بالله واليوم الآخر في مكافحة الفقر والهشاشة والضعف.

المنهجية: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بتتبع نزول سور القرآن الكريم في الفترة المكية، والتركيز على أهم المعلومات المرتبطة بموضوع العقيدة الإسلامية وأثرها في الرعاية الاجتماعية. كما اعتمدت أيضا على المنهج الوصفي التحليلي؛ لاستعراض آراء العلماء في الموضوع والمقارنة بينها. وقد ركز البحث بالدراسة والتحليل على سورة واحدة من سور القرآن الكريم، وهي سورة الماعون لما يحمله هذا الاسم من دلالات التعاون، ومد يد المساعدة إلى من يحتاجها من شتى فئات المجتمع، ولاسيما تلك الشريحة من الناس التي عادة ما يتم إهمالها وازدراؤها أحيانا، وظلمها والعدوان عليها أحيانا.

النتائج: بيان أثر توحيد الله، واليقين في ما أعده لعباده الصالحين في الرأفة بالمسكين والفقير، والعطف على الأرملة واليتيم، والرحمة بالضعفاء والمحتاجين؛ حيث يكون للاعتقاد الصحيح علاقة وطيدة بالعمل الصالح، ولاسيما ما هو متوجه منه إلى الأصناف المحرومة في المجتمع المسلم.

الخلاصة: توصي الدراسة بضرورة العناية بالأثر الواقعي للعقيدة الإسلامية، وإبراز أهمية التصور الصحيح لأمور الغيب في تزكية النفوس وحثها على البذل والعطاء، وإشاعة روح المودة والأخوة بين المؤمنين.

الكلمات الدالّة: الإيمان بالله، الفقر والحرمان، الإحسان والعطاء.

مقدمة

لقد ركز القرآن الكريم على الإيمان بالله واليوم الآخر، مبينا آثارهما في المجتمع المسلم، محذرا من مساوئ التكذيب والكفر ونتائجهما على الإنسانية في الدنيا قبل الآخرة، فكان مفهوما الإيمان والكفر مرتبطين بحياة الناس، وهمومهم اليومية، لكن هذا المفهوم سيتحول إلى معنى تجريدي نظري، مع احتكاك المسلمين بغيرهم من الأقوام وأصحاب الديانات، وهو أمر كانت له دواعيه وأسبابه الموضوعية، إلا أن تلك الأسباب قد تغيرت، ولم تتغير معها مباحث العقيدة، فظلت مرتبطة بالحديث عن الذات والصفات وكلام الله وغيرها من القضايا التي أثيرت في مواجهة هجمات الفلاسفة، وأصحاب الملل المخالفة.

غير أن ما أحدثه المتكلمون من مباحث ومناهج في فهم وتفسير قضايا العقيدة الإسلامية -بالرغم من النقد الذي وُجه لها- فيه دلالة واضحة على أن الاجتهاد في فهم العقيدة وتقريبها إلى الناس ضرورة ملحة لمواجهة تحديات الحياة المتطورة، ولذلك فنحن في أمس الحاجة إلى اجتهادات جديدة ترجع أولا إلى القرآن الكريم، تستقرئ منهجه في بيان وتبليغ العقيدة الإسلامية، وتقتدي في ذلك بما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

مشكلة البحث

من المعلوم عند الدارسين أن السور المكية تعالج أمور العقيدة، وتلك خصيصة من خصائصها وبذلك تعرف، إلا أن مفهوم العقيدة كما تبرزه هذه السور، يختلف عما تعارف عليه علماء الكلام، أو علماء العقيدة بعد ذلك، لأن علماء الكلام إنما تحدثوا عن مسائل وقضايا تمت إثارتها في مراحل زمنية لاحقة عن فترة تنزل القرآن الكريم، وعن تطبيقه العملي من قِبل النبي- صلى الله عليه وسلم- وعن فهم الرعيل الأول له من الصحابة والتابعين.

فالقرآن المكي المؤسس للعقيدة الإسلامية يجمع في الآن نفسه بين الإيمان بالله واليوم الآخر، وبين العمل الصالح والمسارعة في الخيرات، كما يقرن كذلك بين الكفر بالخالق والتكذيب بالبعث، وبين الفساد في الأرض والعدوان على الناس، مما يعني أن الإيمان بالله تعالى هو سبب كل فلاح وخير، وأن الكفر به سبحانه هو منبع كل شر وضلال.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى إبراز أثر العقيدة الإسلامية في الحياة الإنسانية، وذلك من خلال القرآن المكي المؤسس للعقيدة، وبالخصوص سورة الماعون، لأنها السورة الأكثر بيانا لمفهوم الإيمان والكفر في التصور الإسلامي، محاولا التركيز في فهم المعاني واستنباط المبادئ والأحكام على أقوال الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، ومن صار على نهجهم من علماء المسلمين في كل العصور والأزمان.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج التاريخي؛ وذلك بتتبع نزول سور القرآن الكريم في الفترة المكية، والتركيز على أهم المعلومات المرتبطة بموضوع العقيدة الإسلامية وأثرها في الرعاية الاجتماعية.

كما يعتمد أيضا على المنهج الوصفي التحليلي؛ عن طريق استعراض آراء العلماء في الموضوع والمقارنة بينها، ثم التوصل إلى النتائج بناء على تلك المعطيات.

الدراسات السابقة

من المصنفات المتقدمة التي أثارت الانتباه إلى هذا الموضوع كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ومن المؤلفات الحديثة نجد كتاب أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وكتاب العدالة الاجتماعية لسيد قطب، وتنظيم الإسلام للمجتمع للشيخ محمد أبو زهرة.

هيكلة البحث

لقد جاءت هذه الدراسة مقسمة إلى مبحثين اثنين؛ يتناول المبحث الأول مسألة مواساة المحتاجين في القرآن المكي المهتم بالعقيدة الإسلامية بصفة عامة، بينما يتعرض المبحث الثاني إلى تفصيل قضية الرعاية الاجتماعية في سورة الماعون على وجه الخصوص، وخُتمت الورقة البحثية بمجموعة من الخلاصات والنتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مواساة المحتاجين في القرآن المكي

يقرن القرآن المكي المؤسس للعقيدة الإسلامية في سياق واحد بين الإيمان بالله واليوم الآخر، وبين الإحسان إلى الفئات الضعيفة في المجتمع، كما يقرن كذلك بين الكفر بالله، والتكذيب بالساعة، وبين ازدراء الفقراء وظلم اليتامى.

وبإلقاء نظرة على نماذج من الآيات والسور القرآنية التي نزلت في هذه الفترة يتبين المقصود:

ففي سورة القلم، إشارة لطيفة، ذكرت المكذبين ووصفتهم -من جملة ما وصفتهم به-بأنهم يمنعون الخير، مع ما لديهم من أموال وبنين، يقول تعالى فيها: ﴿ فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [القلم: 8-15].

ثم ذكرت الآيات بعد ذلك أصحاب الجنة الذين أجمعوا على منع المساكين من حقهم من ثمار الجنة ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلا يَسْتَثْنُونَ﴾ [القلم: 17-18].

فكأن هاتين الآيتين تُشَبِهان عمل المانعين لحقوق الناس، بعمل الكفار الذين يكذبون باليوم الآخر، الذين ذكرتهم الآيات السابقة، وكأن السورة تقول: إن ظلم الناس، وأخذ حقوقهم خصلة من خصال الكفار المكذبين، وليست من صفات المؤمنين المصدقين بالله سبحانه، وبما نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم تمضي السورة في بيان قرار الإخوة أصحاب الجنة: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ [سورة القلم: 23-25].

انطلقوا لتنفيذ خطتهم بحرمان المساكين من حقهم في الانتفاع بثمار الحديقة، وهم بهذا الفعل الشنيع يتشبهون بالكفار، الذين نزعت من قلوبهم عاطفة الرحمة، والشفقة على ضعاف الناس ومساكينهم.

وهو المعنى الذي يومئ إليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مُتَضَعَّف لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عُتل جَوّاظ مستكبر). والعتل الجواظ هو الفظ الشديد الخصومة). (البخاري، دت).

وفي سورة الليل، يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11) ﴾ [الليل: 5-11].

فقد جمعت الآيات بين العطاء، وبين التقوى والتصديق بالحسنى، وهي الجنة وما قرب إليها من التوحيد والعمل الصالح، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾.

كما جمعت بين البخل، والتكذيب، وبين الكفر، وسوء العاقبة ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾.

فقد جعلت الإحسان إلى المساكين والضعفاء دليلا من دلائل الإيمان بالله سبحانه، كما جعلت منعهم من العطاء قرينَ التكذيب والكفر؛ وهي بذلك تشير إلى أن من طبيعة الإيمان بالله واليوم الآخر أن يدفع صاحبه إلى البذل والعطاء، مثلما يدفع الكفر بالله والتكذيب بالآخرة صاحبه إلى البخل، والحرص على متاع الدنيا.

وتعزز هذا المعنى سورة الفجر: ﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20) ﴾ [سورة الفجر: 17-20].

وهو نفس المعنى الذي تؤكده سور الضحى، حيث يمتن الله سبحانه على رسوله بأنه آواه من اليتم، وأغناه من الفقر، ثم يرشده إلى العناية بهذه الفئات الاجتماعية، وذلك في قول تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) ﴾ [سورة الضحى:6-10].

يتضح من خلال هذه النماذج للسور والآيات المكية، أن المواساة كما يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشورأصل من أصول نظام الإسلام، وكانت من أول ما دعا إليه الإسلام، ونزل به القرآن في بدايات تنزله، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ﴾ [سورة البلد:12-16].

ومن آي سورة المدثر: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) ﴾ [سورة المدثر:41-44].

وجاء في سورة المزمل: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20) ﴾ [سورة المزّمل:20].

وفي فصلت وهي من السور المكية: ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7) ﴾ [سورة فصلت:6- 7]. بله ما ورد في ذلك من الآيات وأقوال الرسول بعد انتشار الإسلام وتتابع الوحي.(ابن عاشور، 2006).

فاتضح بهذا أن السور المكية تعتبر أن الكفر هو سبب القسوة على الفقراء والمساكين، وحرمانهم من حقوقهم الاجتماعية، وأن الإيمان هو

منبع الرحمة والعطف على الضعفاء والمحرومين، قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10)﴾ [سورة الإنسان: 8-10].

ذلك أن الكافر المنكر للبعث والحساب حتى ولو صدرت عنه بعض صور الخير والإحسان فإنه لا يقوم بذلك إلا رياءً وسمعة، ولا يفعل ذلك بداعي الرأفة والرحمة ورجاء المثوبة والأجر من الله تعالى؛ ومن ثم فغالب ما يقوم به من أعمال تبدو للناس حسنة لا تُوجه في العموم إلى من يستحقها، ومن ثم فهي لا تحقق القصد الشرعي من ورائها؛ من سد خُلة الفقير، وشعور المحتاج بالتكافل معه، ونشر الرحمة والمودة في المجتمع.

وهذا مثل ما كان سائدا في المجتمع الجاهلي من صور الكرم والجود والعطاء، ولكن رغم ذلك كانت الفاقة غالبة على فئات عريضة من الناس؛ وذلك لأن أعمال الخير تلك لم تكن تصرف إلى مستحقيها، وإنما تُعطى لمن هم في غنى عنها، حتى إن من جاء إلى تلك الموائد من الفقراء والمحتاجين عُومل بالزجر والدع كما سيأتي تفصيل ذلك في سورة الماعون.

المبحث الثاني: أثر العقيدة الإسلامية في رعاية الفئات الضعيفة من خلال سورة الماعون

يقول الله تعالى في هذه السورة: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)﴾ [الماعون:1-7].

والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالدين من هو؟ وهو سؤال تشويق، لما سيأتي بعده. (الزمخشري، 2009).

والدين هو الجزاء والحساب في الآخرة، يوم يدان الناس. (مقاتل، 2002).

ومن يكذب بالدين هو "المشرك لا يقر بالبعث، وبأن الله يدين الناس يوم القيامة بأعمالهم". (الهواري، 1990).

والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ يذهب بذهن القارئ والسامع مذاهب شتى، كما يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وذلك من أجل معرفة المقصود بهذا الاستفهام، لأن التكذيب بالدين شائع في أهل مكة، فلا يكون مثاراً للتعجب، فيترقب السامع ماذا يَرِد بعده وهو قوله: ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾. (ابن عاشور، 1984).

أي: إذا لم تعرفه، فإنه هو ذلك ﴿ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾؛ أي هو الذي يقهر اليتيم، ويظلمه، ولا يطعمه، ولا يحسن إليه. (الصنعاني، د.ت).

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾، أي؛ لا يحث غيره على إطعام المساكين، ومن باب أولى لا يطعمهم أيضا. فإذا كان شحيحا حتى بحث الآخرين على إطعام المساكين، فهو بإطعامهم بنفسه أشح.

قال صاحب التحرير والتنوير في بيان الارتباط الوثيق بين العقيدة والعمل: "الاستفهام مستعمل في التعجيب من حال المكذبين بالجزاء، وما أورثهم التكذيب من سوء الصنيع، فالتعجيب من تكذيبهم بالدين، وما تفرع عليه من دَعّ اليتيم، وعدم الحضّ على طعام المسكين...فمعنى الآية عطفُ صفتي: دَع اليتيم، وعدم إطعام المسكين على جرم التكذيب بالدين...وفي ذلك كناية عن تحذير المسلمين من الاقتراب من إحدى هاتين الصفتين بأنهما من صفات الذين لا يؤمنون بالجزاء". (ابن عاشور، 1984).

فالسورة تفضح نفوس ضعاف الإيمان، إذ تبين أن من صفاتهم أنهم لا يكرمون اليتيم، ولا يحضون أنفسهم، ولا غيرهم على إطعام المساكين، لأن الله تعالى نزع الرحمة من قلوبهم، ولا ينزع الله تعالى رحمته إلا من شقي، ولذلك كانت الرحمة بالضعفاء علامة على الخير. (ابن أنس، 1985).

فالمعنى -إذن- هو كما يقول الزمخشري أن من علامة " التكذيب بالجزاء منع المعروف، والإقدام على إيذاء الضعيف، يعنى: أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد، لخشى الله تعالى وعقابه، ولم يقدم على ذلك؛ فحين أقدم عليه: عُلم أنه مكذب، فما أشده من كلام، وما أخوفه من مقام، وما أبلغه في التحذير من المعصية، وأنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان، ورخاوة عقد اليقين".(الزمخشري، 2009).

ثم تمضي السورة في هذا النهج الذي اختطته والذي يجمع بين الإيمان والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين من جهة، وبين الكفر والإساءة إلى ضعاف الناس ومساكينهم، من جهة ثانية، لتصل إلى حد الوعيد الشديد في حق من يمنع المساعدة عمن يحتاجها ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)﴾ [الماعون:4-7].

لقد بينت سورة الماعون أن قضايا المجتمع، ومشكلاته الأساسية؛ من فقر، وجهل، ومعاناة من الظلم، والقهر، هي من صميم أمور الاعتقاد؛ فدع اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين، علامة على ضعف الإيمان، أو هي أعمال من أعمال الكفار المكذبين بالله واليوم الآخر.

وهذا يبين أن الأعمال هي الركن الثالث للإيمان الصحيح، بعد التصديق بالجَنان، والنطق باللسان، كما هو معتقد السلف (الترمذي،1998)، ولهذا وجدنا في السور والآيات القرآنية المكية المؤسسة للعقيدة، أن المجرمين يُجيبون عن سبب دخولهم النار حين يُسألون: ((مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)) بقولهم: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) ﴾ [المدثر:42-46].

فذكروا أن من أسباب دخولهم جهنم أنهم كانوا يمتنعون عن إطعام المساكين، وهو كما في هذه السورة: ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾.

فواضح إذن أن الرعاية الاجتماعية للطبقات الدنيا في المجتمع المسلم، تُعد جزءا لا يتجزأ من مفهوم الإيمان في التصور الإسلامي الصحيح؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين) وجمع بين السبابة والوسطى). (الترمذي،1998)، وفي الحديث الصحيح أيضا: (الساعي على اليتيم والأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله والصائم لا يفتر). (ابن الحجاج،1991).

فقضايا العقيدة الإسلامية-إذن-، ليست مجرد قضايا غيبية، مرتبطة بذات الله وصفاته فحسب، بل هي بفضل ذلك مسائل متعلقة بعالم الشهادة أيضا؛ وأمور مرتبطة بهموم الناس وقضاياهم الاجتماعية والاقتصادية، وغيرها مما له صلة بالعمران البشري، والاجتماع الإنساني.

يقول سيد قطب مُعزِّزًا حقيقة كون هذه السورة تقرر مفهوما للعقيدة الإسلامية، قد يكون غريبا عن بعض المسلمين: "إن هذه السورة...ذات الآيات السبع القصيرة، تعالج حقيقة ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلاً كاملاً، فوق ما تطلع به على النفس من حقيقة باهرة لطبيعة هذه العقيدة، وللخير الهائل العظيم المكنون فيها لهذه البشرية، وللرحمة السابغة التي أرادها الله للبشر، وهو يبعث إليهم بهذه الرسالة الأخيرة ".(قطب،2003).

والحق أن هذا الأمر ليس خاصا بهذه السورة، فكل السور التي سبق ذكرها، تذكر إشارات وتلميحات إلى هذا المفهوم للعقيدة الإسلامية الذي جاءت به سورة الماعون، وذلك حينما تربط الإيمان بالله واليوم الآخر، بالإحسان إلى ضعاف الناس وفقرائهم، وتربط الكفر بالله واليوم الآخر بالقسوة على المساكين واليتامى، ومن في مرتبتهم.

غير أن هذه السورة قد تكون هي الأكثر وضوحا في بيان ذلك الانسجام التام بين الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر من جهة، وبين الإحسان إلى المساكين، والترفق بضعاف الناس وفقرائهم من جهة ثانية، وتقرير تلك المناسبة بين الكفر وبين الإساءة إلى الخلق، مع التأكيد على ضرورة الترابط بين العقيدة والسلوك، بما لا يدع مجالا للشك أو للتأويل؛ فإذ كانت سورة الليل، تجمع في سياق واحد بين العطاء و التقوى والتصديق بالحسنى، وبين البخل والتكذيب بالحسنى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)﴾ [الليل:5-7]. ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) ﴾ [الليل:8-10].

وإذا كانت سورة الفجر، تشنع على الناس صنيعهم في الإساءة إلى الضعفاء منهم ﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18)﴾ [الفجر: 17-20].

وإذا كانت سورة الضحى تربط بين اليتم والضلال والفقر، وتأمر بالإحسان إلى اليتيم والفقير﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) ﴾ [الضحى:6-10].

فإن سورة الماعون تعتبر أن دع اليتيم، وتهميش المسكين من عمل المكذبين بالدين، وأن تكذيبهم بالجزاء والحساب جعلهم يحتقرون هذه الفئة من المجتمع، ثم تتوعد بالويل منع الماعون عن هذه الفئات بالذات، التي هي أحوج ما تكون إلى المساعدة، ومد يد المساعدة.

ففي السورة وعيد شديد بالعذاب والهلاك في نار جهنم، لمن منع الماعون عمن يحتاجه؛ فكأن الذين يمنعون الناس من حقوقهم في الدنيا، يُخشى عليهم أن يجازون بالمِثل؛ فيكون عقابهم منعهم من دخول الجنة يوم المحشر والمعاد، حيث لا تنفعهم صور العبادات التي كانوا يتظاهرون بأدائها، وشعائرهم التي كانوا يحرصون على البروز للناس بها؛ إذ ليس كل من كان في صورة المطيعين واقفاً مع العابدين، كان مطيعاً مقبول العمل، كما يقول سهل بن عبد الله التستري.(التستري، 2004).

خلاصات واستنتاجات

- تبين السور المكية المؤسسة للعقيدة الإسلامية أن الإيمان الحق ليس مجرد ادعاء، أو أداء شعائر فقط، وإنما هو إخلاص، وقول، وعمل، كما هو منقول عن السلف الصالح، في القرون الأولى المفضلة، والويل لمن اعتقد أنه بأدائه لبعض صور العبادات سيكون مؤمنا تقيا، وأن ذلك قد يغفر له ذنوبه الاجتماعية في حق أخيه الإنسان، ولا سيما الضعفاء والفقراء من عباد الله؛ لأن الإيمان الحق بالله واليوم الآخر تنتج عنه أعمال صالحة، وأخلاق حميدة، تصلح بها حياة الناس، وتستقيم بها معيشتهم، فيسعدون في الدنيا، ويجازون الجزاء الأوفى في الآخرة.
- إن هذا الدين منظومة متكاملة، لا يمكن تجزئته وتشظيته، فالأعمال بالنيات كما في الحديث النبوي؛ فلابد من إخلاص النية لله، ثم لابد من العمل بعد ذلك؛ فلا يُكتفى بمجرد النية، أو القول، وإنما لابد أيضا من العمل الصالح، وكذلك لابد أن يكون العمل الصالح خالصا لله. هذا هو معنى الإيمان كما تصرح به الآيات القرآنية التي نزلت تؤصل لهذا المفهوم في بداية الدعوة الإسلامية، والتي سبق ذكر بعض منها.
- فهذا الدين ليس أجزاء وتفاريق موزعة منفصلة، يؤدي منها الإنسان ما يشاء، ويدع منها ما يشاء، إنما هو منهج متكامل؛ تتعاون

عباداته وشعائره، وتتضافر تكاليفه الفردية والاجتماعية، حيث تنتهي كلها إلى غاية تعود كلها على البشر بالخير والنفع العميم؛ غاية تتطهر معها القلوب، وتصلح الحياة، ويتعاون الناس ويتكافلون في الخير والصلاح والنماء، وتتمثل فيها رحمة الله السابغة بالعباد.

- تبين سورة الماعون أن إهمال الفئات المحرومة في المجتمع، وعدم الاهتمام بها، وتهميشها واحتقارها، من صفات المكذبين بالجزاء والحساب، وأن تكذيبهم بيوم القيامة جعلهم قليلي الاكتراث بالضعفاء والمساكين، حيث لا يرجون من وراء ذلك نفعا دنيويا ولا ثوابا أخرويا؛ فالحظوة والمكانة في المجتمع الجاهلي هي لأصحاب القوة، والحسب، والمال والبنين، أما اليتيم والمسكين، فلا اكتراث لهما، وإنما جزاؤهما الدع والزجر إن طالبا ببعض حقوقهما الإنسانية.
- تبين السورة كذلك أن في مجتمع المسلمين قد تكون هناك أشكال ومظاهر للعمل الصالح، إلا أن تلك الأعمال لا تصل إلى الطبقات التي تستحقها؛ ففي المجتمع العربي القديم كثيرا ما يُتحدث عن قصص الكرم والجود والعطاء...إلا أنه وكما تبين أسباب نزول السورة، فإن كثيرا من ذلك العطاء والكرم والجود كان مجرد تفاخر ورياء وسمعة، بدليل حرمان الطبقات الضعيفة منه، مع أنها هي الأولى به؛ فقد تنتشر مظاهر الخير في المجتمع، لكنها تكون مجرد مظاهر وأشكال، يستفيد منها علية القوم، ويحرم منها المحتاجون، وضعاف الناس.
- تشير السورة أيضا إلى أن المجتمع الإسلامي قد يكون فيه بعض أوصاف وسمات المجتمع الجاهلي، مثلما هو الحال بالنسبة للأفراد؛ فقد يكون المجتمع المسلم كثيرٌ قُرَّاؤه، كثيرٌ مُصلوه؛ لكن بعضهم قد لا يكون يؤدي إلا شكل العبادات فقط، وقد يغفل بعضهم عنها، ويؤخرونها عن أوقاتها، أويتهاونون فيها، وبذلك يُحْرَمون أجرها وفضلها، فلا تُحدث فيهم الشعائر الأثر المرجو من أدائها؛ ففي السورة تحذير للمسلمين من الاقتراب من تلك الصفات الذميمة لكونها من صفات الذين لا يؤمنون بالجزاء.
- إن السورة لا تتحدث عن حكم الناس بعضهم على بعض، فذلك كما تقرر في النصوص، واضح بيّن، مِن أنَّ من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فهو مسلم مؤمن، وقد أُمرنا بالحكم على الظاهر، والله يتولى السرائر، وإنما تتحدث السورة عن حكم الله تعالى، وقيمة الأعمال في ميزان الله سبحانه؛ فالمجتمع المسلم عند الله هو مجتمع متراحم، يشفق فيه القوي على الضعيف، ويُعين فيه الغني الفقير، ويعطف فيه الكبير على الصغير، أما عكس ذلك وخلافه، فهو من صفات المجتمع الجاهلي الذي يزن الناس بما لديهم من أموال وأولاد، وبما يملكون من متاع الحياة الدنيا، ولذلك تجد فيه ازدراءا بالفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، وإن وُجد فيه شيء من الكرم والجود والعطاء فذلك إما يفعل رياءً قصد التباهي والتفاخر، وإما أنه يصرف لغير أهله ومستحقيه.
- إن مقصد الإيمان ليس البحث في الأمور الغيبية التي لا تُدرك كُنهَها عقول بني البشر، بل مقتضى الإيمان هو التسليم بما أخبر به الوحي عن عالم الغيب، والانطلاق من ذلكم التصديق القلبي إلى عالم الشهادة، بهدف معالجة قضايا الناس الأساسية، ووضع المنهج الذي يحقق سعادة الإنسان، بأن يحيى حياة طيبة في الدنيا، وأن يجازى الجزاء الأوفى في الآخرة.
- إن التوحيد الإسلامي ليس مجرد كلمة ينطق بها الإنسان، ولا هو تصور فلسفي لعلاقة الإنسان بالخالق فحسب، وإنما هو فضلا عن ذلك ثورة تحريرية، تعتق الإنسان بكل طاقاته من العبودية لكل الأغيار، فيصبح الإبداع البشري الخَيِّر أيا كانت ميادينه، صلاة خاشعة في محراب الكون.

المصادر والمراجع

ابن الحجاج، م. (1991). *صحيح مسلم*. (ط1). لبنان: دار الكتب العلمية.
ابن أنس، م. (1985). *الموطأ*. لبنان: دار إحياء التراث العربي.
ابن سليمان، م. (2002). *تفسير مقاتل بن سليمان*. لبنان: مؤسسة التاريخ العربي.
ابن عاشور، م. (1984). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.
ابن عاشور، م. (2006). *أصول النظام الاجتماعي في الإسلام*. (ط2). مصر: دار السلام.
أبو زهرة، م. (دت). *تنظيم الإسلام للمجتمع*. مصر: دار الفكر العربي.
البخاري، م. (دت). *صحيح البخاري*. سوريا-لبنان: دار ابن كثير.
الترمذي، م. (1998). *سنن الترمذي*. لبنان: دار الغرب الإسلامي.
التستري، س. (2004). *تفسير القرآن العظيم*. (ط1). مصر: دار الحرم للتراث.
الزمخشري، م. (2009). *الكشاف*. (ط3). لبنان: دار المعرفة.
الصنعاني، ع. (د.ت). *تفسير القرآن*. المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد.
الغزالي، أ. (د،ت). *إحياء علوم الدين*. إندونيسيا: مكتبة ومطبعة كرياتة فوترا.
قطب، س. (2003). *في ظلال القرآن*. (ط32). مصر: دار الشروق.
الهواري، هـ. (1990). *تفسير كتاب الله العزيز*. (ط1). لبنان: دار الغرب الإسلامي.

References

Abu Zahra, M. (n.d.). *The organization of Islam for society*. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Al-Bukhari, M. (n.d.). *Sahih Al-Bukhari*. Damascus – Beirut: Dar Ibn Kathir.

Al-Ghazali, A. (n.d.). *Revival of Religious Sciences*. Samarag: Kiryat Fotra Library and Press.

Al-Hawari, H. (1990). *Interpretation of the Book of God the Mighty*. (1st ed.). Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-San'ani, A. (n.d.). *Interpretation of the Qur'an*. Riyadh: Al-Rushd Library.

Al-Tirmidhi, M. (1998). *Sunan al-Tirmidhi*. Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Tusturi, S. (2004). *Interpretation of the Great Qur'an*. (1st ed.). Cairo: Dar Al-Haram for Heritage.

Al-Zamakhshari, M. (2009). *Al-Kashaaf*. (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Maarifa.

Ibn Ashour. M. (1984). *Liberation and Enlightenment*. Tunis: Tunisian Publishing House.

Ibn Ashour. M. (2006). *The Origins of the Social System in Islam*. (2nd ed.). Cairo: Dar Al-Salaam.

Ibnu al-Hajjaj, M. (1991). *Sahih Muslim.* (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Ibnu Anas, M. (1985). *Al-Muwatta*. Beirut: House of Revival of Arab Heritage.

Ibnu Suleiman, M. (2002). *Interpretation of Muqatil Ibnu Suleiman*(1st ed.). Beirut: Foundation for Arab History.

Qutb, S. (2003). *In the Shadows of the Qur'an.* (32nd ed.). Cairo: Dar Al-Shorouk.